دُراقِن دمشق

قال ابن دريد : « عرب الشام يسمون الخوخ الدراقن . وهو معرب سرياني او رومي ».[1] قلنا هو معرب عن الرومية Ωμφάκινον والعامة تشدد الراء . وفي القاموس « الدراقن المشمش والخوخ . شامية . » واستدرك عليه صاحب محيط المحيط هذا التعريف وزعم ان الدراقن شجر آخر غيرهما . ويقال له الدرّاق ايضاً . وفاته انه هو الخوخ في مصطلح اهل الشام كما سبق من شهادة ابن دريد . ولذلك اضاف الفيروزبادي ان اللفظة شامية . وقد روى البدري ان الدراقن في زمانه كان يُسمَّى في القاهرة خوخاً .[2] والذي يتضح لنا ان الفيروزبادي لم يخطئ بقوله ان الدراقن هو المشمش والخوخ . وكأنه يعنى ما كان منها مُطَعَّماً من الآخر . وهو الذي يقال له بالفرنسية = abricot-pêche alberge . وهو كثير في اسبانية ويقال له عندهم melocoton ولا بد انه كان من هذا التطعيم اشجار بالشام قبل انتقال من انتقل من اهلها الى الاندلس . ولذلك أُطلق عليها اسم الدراقن وهو الاصل .

وكانت اصناف الدراقن ستة عشر عدّها البدري كما يأتي : خواجكي (وهي نسبة فارسية بالكاف والياء الى خواجا) . رصاصي . حمصي . نيرباني (نسبة الى قرية النيرب قديماً) لوزي . لزيق (ولعله سمّي كذلك للصوقه بالنواة) لقيس . كلابي . صالحي (من صالحية دمشق) غتمي (وفي المطبوع ختمي بالخاء غلطاً) مظفّري . مسافري . صوري . زهري . لحم الجمل . مجهول .[3]

وفي تذكرة صلاح الدين الصفدي خلاف في بعض هذه الاسماء الستة عشر . وهي عنده : نيرباني . زهري احمر . زهري اصفر . زهري سالمي . زهري

---

١) المعرّب للجواليقي . طبعة اوربة ، ص ٦٤

٢) محاسن الشام ، ص ٢٠٦

٣) » » » ، » ٢٠٧

رصاصي . مسكي . لوزي كبار . لوزي صغار . صوري . لُريق : لحم الجمل . كلابي . مظفري . مسافري . لقيس . خواجكي[1] .

ولا ندري اي هذه الاصناف انتقل الى فرنسة في عهد الصليبيين . ويقال له فيها : La Tullins, ou de Syrie (dans le Dauphiné)[2] .

وقد انتقش من دمشق اكثر هذه الاصناف . واقدمها عهداً الزهري وهو الذّها طعماً واطيبها نكهة . وفيه يقول برهان الدين القيراطي :

حللنا بستان به الدوح واقف وجدول صافي الماء من تحته يجري
كأن النجوم الزُهر زهريّ خوخه ولم ارَ مثلي شبّه الزُهر بالزَهر

وفي زهره يقول محيي الدين بن قرناص الحموي :

مررت باشجار الدراقن سحرة وقد رنّحت اعطافه نسمة الفجر
فشبهته لما رأيت احمراره عيون مخامير افاقت من السكر (٣

وكان الدراقن في جملة بواكير الفواكه التي تحمل من دمشق الى الديار المصرية وتُتحف بها الملوك والسلاطين . وقد وقفنا في مجموع كتابات ديوانية على جواب هدية دراقن بعث بها احد نواب دمشق الى الابواب الشريفة بمصر . وهو غفل من التاريخ والعنوان . وهذا نص الكتاب بعد تسديد ما تصحف منه بجهل الناسخ :

« لا زال يهدي من الطُرف ما رقّ ورائق . ويخص من اطيب الثمار ما اقتطفته ايدي الاحباب من ماشي النعمون واتزه الاوراق . اصدرناها تهدي سلاماً طاب نشرا . وثناء فاح عطرا . ونبدي لعلمه الكريم ان مكاتبته وردت الينا وفهمنا ما تضمنته من تجهيزه الدراقن من باكورة دمشق المحروسة . التي اصبحت رسومها بجميل ملاحظته مأنوسة . فلله در المقرّ كونه احدى من التحف اطرافها . وجهّز تين النفائس الطافها . كل حبة منها قد واق جناها . وحسن مجناها . ولطف مرتشفها فهي شفاء السقيم . وكأنها سقيت بماء التسنيم . تختال في برودها الزمردية . وتتجلى بالثياب السندسية . ماء الحياة مصون بين عُجمها وثوبها . فلحلاوة مذاقها تفتّ عن شنب عُجمها . فيا لها من زاثرة هي للعيون قرّة . والنفوس على ترقّبها لها ابدًا مستمرّة . لكونها لا تزور في كل عام الّا مرة . وقد وصلت هذه التحفة وهي في غاية الملاحة . سالمة من كل عيب كأنما حملت على كفوف الراحة . واما

١) فصول منقولة من التذكرة للصفدي في مجلد من ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي
٢) Ch. Ballet. *Culture Fruitière*. Paris 1908 P.237
٣) محاسن الشام ، ص ٢٠٢

القاصد فكأنما طار بها على اجنحة من الدواب . فاكرمناه وعجبنا من سرعة سيره غاية الاعجاب . ووقع ما اهداه المقرّ من ذلك بموقع القبول الذي لا ينكر . وسرّ خاطرنا الشريف بوصول هذه التحفة واستبشر . والمقرّ بحمد الله ما زال يصل بقول النبي عليه افضل الصلاة والسلام . غادوا تتحابّوا ولا اعتراض على من اورد هذا الحديث ولا ملام . ونحن كما يعلم الله حبنا للمقر الكريم دائماً لا يعتريه غِيَر . ولا يشوب صفو ودنا كدر . فانه القريب وان بعد عن البيان . والمكين بالخصوصية وعين الاعيان . فانه تابع للمكنا الشريف طرازاً مرقوما . وعنواناً في المحبة واضحاً معلوما . احياه الله لامثال هذا المرام . ومتّعه بطيب العيش على مر الايام . ليجتني ثمار السرور يانعة . ويتحف منها بكل شهية انوار روضاتها ساطعة . وقد اعدنا قاصده بعد ان احسنّا اليه . وأفضنا حُلَل انعامنا الشريفة عليه » (١ .

ولعل اكثر ما كان يحمل الدراقن الى مصر من قرية الزبداني لقول البدري فيها « وفاكهتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرهـا » .(٢ وكان ينادى عليه قديماً « مُشَعِّر وناعم » لاكتساء قشرته بالخملة والزغب . وقد اشار الى ذلك الشيخ ابرهيم المعمار بقوله في التشبيه :

فكان كالخوخ اذ يُنادَى عليه ذا مشعر وناعم (٣

١) خزانة باريس ؛ رقم ٤٤٤٠ ، ص ٥٥-٥٦
٢) محاسن الشام ، ص ١١٨
٣) خزانة الادب لابن حجة الحموي ، ص ٢٢٠